تحيةٌ لجنوب أفريقيا

شعر: الدكتور حجر أحمد البنعلي

مناسبة القصيدة: شكوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية في ١١-١-٢٠٢٤، تتهمها فيها بارتكاب "إبادة جماعية" في غزة، وتطالب بوقف الحرب.

أيا آلَ مَندِلّا لكم عندَنا فَضْلُ ... فَقد أخرسَ الأعداءَ قولُكمُ الفَصلُ
بفَخرٍ أُحيِيكمْ وأَشكرُ فَضلَكم ... لقد زَانَكم يا قَومُ في عَدلِكم نُبلُ
أُحَيِيكُمُ والدَّمعُ يَهطِلُ ماطِرًا ... لأنَّ دِيارَ العُربِ عن غَزةٍ تَسلُو
مُحامُوكُمُ قد حَطَّمُوا حُجَجَ العِدى ... دِفاعُكمُ عَدلٌ ومَنطِقُكمْ جَزْلُ
تَرافَعتُمُ عن غَزةٍ فجَلَوتمُ ... جَرائِمَ صَهيونٍ حَديثًا ومن قَبلُ[١]
أبادوا بِلا ذَنْبٍ شيوخًا ورُضَّعًا ... فكانَ لَهم في كُلِّ شِبرٍ بِها قَتلُ
نِساءٌ وأطفالٌ ضَحايا إبادَةٍ ... أبادوهُمُ من أجلِ أن يُقطَعَ النَّسلُ
وفي الغَربِ أنصارٌ لأعداءِ أمَّتي ... دَهى عقلَهم حِقدٌ فما سرَّهم عَدلُ
وقالَ بنو صَهيونَ للناسِ فِريَةً: ... فلسطينُ كانت دارَهم، ما بها أهلُ
يَهودٌ من الأوباشِ لا الشَّرقُ أصلُهم ... ولا لهمُ في (سامَ) قُربى ولا أَصلُ[٢]
وقد هَبَّ طُوفانٌ يَدُكُّ حُصونَهم ... فأرعَبَهم فَجرًا وحَلَّ بِهم وَيلُ[٣]
وقد شَنَّهُ الأبطالُ أبناءُ غَزَّةٍ ... فطوفانُهم غَزوٌ وليسَ لَهُ مِثلُ
ولم يَبخَلوا بالروحِ من أَجلِ أرضِهم ... فأرواحُهم للأرضِ تَرخُصُ لا تَغلو
فلا حَلَّ حتى تَستَقِلَّ بِلادُهمْ ... ولو طالتِ الأيامُ واستفحَلَ الثَّكلُ
وما في الوَرى صَبرٌ يُعادلُ صَبرَهم ... فللهِ والإيمانِ في صبرِهم فَضلُ
وأَنعمْ (بأفرقيا) نَصيرًا لغَزةٍ ... ويا ويحَنا نحنُ، وقد شانَنا خَذلُ
أفارقةٌ هَبُّوا لنُصرةِ أمَّتي ... وليسَ لهم فيها جُذورٌ ولا أَهلُ
ضميرُ بني الإنسانِ أَشرَقَ عِندَهم ... وغابَ عَن الباقينَ، فانعَدمَ العَدلُ

وقد كابَدوا من قبلُ ظُلمَ إبادَةٍ ... كِفاحُهمُ الجَبّارُ كانَ هو الحَلُّ[٤]

فوا عَجبًا من أُمَّتي كيفَ أَحجَمَت ... وقد رَضِيت بالصَّمتِ وهوَ لها ذُلُّ

إلى اللهِ أَشكو صَمتَ أبناءِ أمَّتي ... كأنَّهمُ صُمٌّ وليسَ لَهم حَولُ

فللعُربِ تاريخٌ عَريقٌ وسُؤدَدٌ ... أصيلٌ، فما في العالمينَ لَهم مِثلُ

فأمسَوا بلا رأسٍ يَقودُ جُموعَهم ... وصَاروا ولا قَولٌ لَدَيهم ولا فِعلُ

أما عارضَ الحُكّامُ تَهويدَ قُدسِنا؟ ... ولكنَّ ذاكَ القولَ ناقضَهُ الفِعلُ

فشِبْتُ وقد فارقتُ عصرَ تَفاؤُلٍ ... بوحدتِنا الكُبرى، وقد سُدَّتِ السُبْلُ

فلا تَعذِلُوني إن شَعَرتُ بِخَيبَةٍ ... فلا العُذرُ يُجدِي إن يَئِستُ وَلا العَذلُ

فبي لوعةٌ مما أُحِسُّ من الأسى ... فلا يرعَوي عندي الفؤادُ ولا يسلو[٥]

فلا أملٌ إلا الجِهادَ لأُمَّتي ... ومثلُ بني القسَّامِ في أُمَّتي قَلُّوا[٦]

الشرح:

١. قدّمت جنوب أفريقيا مرافعة ضد إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية في ١١ -١-٢٠٢٤ متهمة إياها بارتكاب إبادة جماعية في قطاع غزة، خلال ٩٦ يومًا من الحرب، وطلبت من المحكمة وقف الحرب الإسرائيلية على غزة فورًا.

٢. الأوباش: سَفَلَة النَّاسِ وَأَخْلاطُهِمْ. سام: سام بن نوح الذي ينسب إليه الساميون. والسامية خرافة أتى بها الباحث أوجست لودفيج شلوتسر (August Ludwig Schloester) في القرن الثامن عشر، بناء على ما ورد في التوراة (المحرفة). تقول الخرافة أن نوحًا وزّع الأرض على أبنائه الثلاثة، فأعطى آسيا لـ"سام"، وأوروبا لـ"يافث"، وأفريقيا لـ"حام"؛ ليؤسسوا ثلاثة أعراق بشرية مختلفة بلغاتها.

٣. الطوفان: طوفان الأقصى، وهو عملية عسكرية مُمتدة وناجحة ضد الاحتلال الإسرائيلي، شنَّتها فصائلُ المقاومة الفلسطينية من قطاع غزة، في أوّل ساعات صباح السبت ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م.

٤. بدأ الأفارقة في النضال ضد نظام الفصل العنصري منذ الأربعينيات من القرن الماضي، وتزّعم الكفاح نلسون ماندلا، الذي سجن ١٧ سنة. وأخيرًا انتصر الأفارقة، وانتخب ماندلا رئيسًا للبلاد. وكان لي شرف حضور حفلة تنصيبه رئيسًا، مع الوفد القطري، في بريتوريا ١٠ مايو سنة ١٩٩٤.

٥. اللوعة: حرقةٌ في القلب، يرعَوي: يكفُّ.

٦. القسام: كتائب القسام، وهي الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).